# أحاديث الفتن والملاحم بين الفقه الصحيح والتأويلات الخاطئة في دراسات المعاصرين

إعداد الدكتور أبو بكر كافي

رئيس قسم الكتاب والسنة -

بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة - الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

أحاديث الفتن والملاحم هي جزء من ميراث النبوة، ومن العلم الشرعي الذي يدين به المسلم ربه تعلماً وتعليماً، يقوي به إيمانه ويحسن به ظنه بربه، ولا يسوغ إهمال هذا الجانب من السنة النبوية، أو تحذير الناس منه بسبب ردة فعل من بعض الجهلة الذين يسلكون منهجا غير سليم وطريقة غير صحيحة في تناول ما ورد في هذا الباب من أحاديث وفقهها بالتعسف في إسقاطها على الوقائع والأحداث الواقعة والمستقبلة، والجزم بذلك دون بينة أو برهان عقلي أو شرعي أو كوني، أو تأويلها وحملها على معان بعيدة لغة وشرعا، لذا أحببت أن أتناول هذه القضية بإبراز الموقف الشرعي الصحيح في التعامل مع ما ورد في السنة من أحاديث الفتن والملاحم، ثم نعرج على المناهج الخاطئة في دراسات بعض المعاصرين، لأنها أصبحت ظاهرة تحتاج إلى الدراسة وبيان الضوابط الشرعية عند أهل الحديث ومنهجهم في هذه الأخبار والمرويات، وقد تناولت هذه القضايا وفق الخطة الآتية: - تعريف الفتن والملاحم.

- عناية علماء الحديث بهذا الجانب من السنة.

- فوائد معرفة أحاديث الفتن والملاحم.

- التعامل الصحيح مع أحاديث الفتن والملاحم.

- التعامل الخاطئ مع أحاديث الفتن والملاحم ومظاهره.

- اعتقادها سنة وقدرا لازما.

- إسقاطها على الأشخاص والوقائع.

- نشوء هذه الظاهرة وحكمها في ميزان الشرع.

- خطورتها وآثارها السيئة.

- نماذج من هذه الظاهرة (كتاب «هرمجدون» دراسة ونقد).

**تعريف الفتن والملاحم**: قبل الخوض في تفاصيل هذا الموضوع حري بنا أن نضبط المصطلحات ونحدد المفاهيم، فما المراد بالفتن والملاحم؟

قال الراغب: «أصل الفتن إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار، ويطلق على العذاب»، كقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾[1].

وجاء في مختار الصحاح: «الفتنة: الاختبار والامتحان»[2].

وقال الفيومي: «والفتنة: المحنة والابتلاء والجمع فتن، وأصل الفتنة من قولك: فتنت الذهب والفضة إذا أحرقته بالنار ليبين الجيد من الرديء»[3].

فالفتنة هي الابتلاء والامتحان والاختبار بالخير والشر والشدة والرخاء، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا، فكل ما يصيب العبد من بلية

---

(١) فتح الباري ١٣/٥.

(٢) ص٣١٤.

(٣) المصباح المنير: ٤٦٢.

ومصيبة وقتل وعذاب ومعصية وغيرها من المكروهات فهو فتنة[1].

والمراد بها هنا تلك البلايا والمصائب التي تصيب الناس في آخر الزمان قبيل الساعة.

**تعريف الملاحم**: مفردها ملحمة وهي القتال[2].

وقيل الملحمة هي الوقعة العظيمة في الفتنة[3].

وقال الفيروز آبادي: الملحمة هي الوقعة العظيمة القتل[4].

فالملحمة هي الوقعة التي فيها قتال كبير، ينجم عنه قتل عظيم، والمراد بها هنا في هذا البحث تلك الوقائع العظيمة التي يشترك فيها الفئام من الناس في آخر الزمان بين يدي الساعة.

عناية علماء الحديث بهذا الجانب من السنة: إن الأحاديث والأخبار في الفتن والملاحم من الكثرة والاستفاضة والشهرة بين أهل الحديث بحيث لا يمكن الإعراض عنها أو إغفالها.

## وعناية علماء الحديث بها كانت على ثلاثة مستويات:

**أولاً**: تدوينها وتصنيفها في الكتب حتى لا تندرس، فما فتئ علماء الحديث وأهل السنة والأثر يدرجون في كتبهم أبوابا في الفتن والملاحم، فهذا الإمام البخاري أفرد كتابا للفتن في صحيحه ضمَّنه ٨٦ حديثاً في ٢٨ باباً، والإمام مسلم بن الحجاج خصص في صحيحه كتابا للفتن وأشراط الساعة اشتمل على ٩٥ حديثا في ٢٨ بابا، والإمام أبو داود أفرد في سننه كتابا خاصا للفتن ضمنه ٣٨ حديثا في ٧أبواب وكتابا آخر للملاحم به ٥٩ حديثا و٨ أبواب، كما خصص الإمام أبو عيسى الترمذي كتابا للفتن في

---

(١) انظر مفردات الراغب والفتح ٥/١٣.

(٢) المصباح المنير: ٥٥١.

(٣) مختار الصحاح: ٣٧٧.

(٤) القاموس المحيط: ١٧٦/٤.

جامعه اشتمل على ١١٢ حديثا موزعة على ٧٩ بابا، والإمام ابن ماجه أفرد هو أيضاً كتابا للفتن في سننه اشتمل على ١٧٢ حديثا موزعة على ٣٦ بابا.

ومن أهل الحديث من أفرد كتبا مستقلة في هذا الموضوع منها: كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي، وسيأتي الحديث عنه، والسنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، والفتن والملاحم لابن كثير وهو خاتمة كتابه البداية والنهاية.ولقد كان هؤلاء الأئمة أسوة وقدوة لمن جاء بعدهم، وصنيع هؤلاء الأئمة يدل على أنهم عنوا بهذه الأحاديث والأخبار وأولوها اهتمامهم كسائر أبواب العلم.

**ثانياً**: تمييز الصحيح الثابت، والتحذير من المنكر والموضوع، ففي أحاديث الفتن والملاحم جملة كثيرة صحيحة وأخرى صالحة مخرجة في دواوين السنة المعتبرة؛ كالصحيحين والسنن الأربعة وغيرها، وإلى جنب ذلك نجد جملة كبيرة من الأحاديث الضعيفة الواهية، والموضوعة المنكرة، والباطلة الساقطة. لذا قال الإمام أحمد رحمه الله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير»[١] ومراده بذلك كثرة الكذب والروايات المردودة في هذه الأبواب الثلاثة وقلة ما يصح فيها من الأحاديث خاصة المرفوعة.

قال الخطيب: «وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها»[٢]. قال: «أما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوه مرضية، وطرق واضحة جلية»[٣].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢ /١٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٢-١٦٣.

**ثالثاً**: التفقه فيها الفقه الصحيح واستنباط ما فيها من حكم وأحكام، ولو تأملنا تراجم أئمة الحديث وتبويباتهم لهذه الأحاديث لاستخرجنا منها دررا ودروسا و فوائد كثيرة.

## فوائد معرفة أحاديث الفتن والملاحم:

إن لدراسة أحاديث الفتن والملاحم فوائد جمة يمكن أن نجملها فيما يلي:

١ ـ معرفة كثيرٍ من دلائل نبوته، وصدق دعوته لإخباره بمغيبات ووقوعها كما أخبر، وهذا مما يثبت الإيمان ويرسخه.

٢ ـ معرفة الاحتياطات والتدابير الواقية من الفتن قبل وقوعها.

٣ ـ معرفة الموقف الشرعي عند وقوع الفتن، وكيفية التعامل معها عند حلولها، لضمان النجاة والسلامة في الدين والدنيا.

٤ ـ كشف رؤوس الفتن والضلال للحذر منهم، وعدم الانسياق وراءهم، كإخباره ﷺ عن المتنبئين والدجالين في آخر الزمان فمن ذلك قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله[١]، ومن ذلك أيضاً إخباره عن الدجال الأكبر وعن علاماته، ومخاريقه، وسبيل النجاة من فتنته في أحاديث كثيرة صحيحة مستفيضة في كتب السنة[٢] وفي ذكره ﷺ للخوارج وأوصافهم حتى لا يفتتن بهم[٣].

٥- إظهار أماكن الفتن للبعد عنها وعنهم كإخباره ﷺ بأن الفتنة من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ٢٥ رقم (٧١٢١) ٨٨/١٣.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال رقم (٧١٢١) ٦٩/١٣-٩٧.

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٠/٢-٧٤٦.

قبل المشرق[1].

٦- إظهار فضائل بعض الأمكنة التي تكون بعيدة عن الفتن للزومها والحض على سكناها فمن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل المدينة[2]، وما ورد عنه أيضاً في فضل الشام، وأن الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق تكون فيه[3]

٧- إظهار فضائل ومناقب بعض الأشخاص في القضاء على الفتن والوقوف أمامها مثل ما ورد في فضل عمر أنه باب أمام الفتن.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ عن الفتنة؟ قال: قلت: أنا أحفظه كما قال. قال: إنك عليه لجريء فكيف قال؟ قلت فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف. قال سليمان: قد كان يقول الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.قال ليس هذه أريد ولكني أريد التي تموج كموج البحر. قال: قلت: ليس عليك بها يا أمير المؤمنين بأس، بينك وبينها باب مغلق، قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: لا بل يكسر قال: فإنه إذا كسر لم يغلق أبداً قال: قلت: أجل، فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق: سله قال فسأله فقال: عمر رضي الله عنه. قال: قلنا: فعلم عمر من تعني؟ قال: نعم، كما أن دون غد ليلة.

وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط[4]. وفي قتال علي للخوارج وذلك في قوله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى**

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة من قبل المشرق ١٣/٤٩-٥١.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة رقم (٧١٣٢) ١٣/١٠٩.

(٣) انظر الكتب المصنفة في ذلك كتخريج الألباني لأحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للعز بن عبد السلام.

(٤) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب: باب الصدقة تكفر الخطيئة رقم الحديث: (١٤٣٥)٣/٣٥٣.

**الطائفتين بالحق»**[1]، والحسن بن علي وكونه سببا في الإصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2]، والمهدي وغيرهم.وفي هذا معرفة لقدر هؤلاء والتحيز لهم ونصرتهم

٨- معرفة حرص النبي ﷺ على أمته ورحمته ورأفته بهم؛ إذ أخبرهم عن الفتن و أسبابها والملاحم التي تكون في آخر الزمان وكيفية النجاة منها.

ولهذه الفوائد وغيرها ندرك أن أهل الحديث قد أحسنوا صنعاً بتدوين هذه الأحاديث وإيرادها في دواوين السنة بخلاف ما يراه بعض المعاصرين من أن أهل الحديث قد أساءوا في ذلك كله وكان عليهم أن يتنكبوا هذه الأحاديث جملة وتفصيلا.

## التعامل الصحيح مع أحاديث الفتن والملاحم:

إن التعامل الصحيح مع أحاديث الفتن والملاحم يكون بالتزام الضوابط الآتية:

**أولاً**: تحري الأحاديث الصحيحة الثابتة في هذا الباب، والحذر من ترويج الأحاديث الموضوعة والمنكرة وما أكثرها في هذا الباب! وعدم روايتها إلا للتحذير منها؛ لأن كتب الفتن أحد أودية الوضع كما ذكر الإمام أحمد وغيره من أهل الحديث.

**ثانياً**: عدم التحديث ونشر ما يمكن أن يفهم من أحاديث الفتن فهما سقيما عند من تقصر عقولهم ومداركهم من العامةفينبغي للداعية الموفق ألا يحدث الناس بكل ما يعرفه من الأحاديث وإن كانت صحاحا، فإن العامة قد لا تدرك المعاني المقصودة منها وتضل في فهمها وهذا فقه صحيح مأخوذ عن السلف فقد أفرد الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه بابا في

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٥-٧٤٦.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي **«إن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»** رقم (٧١٠٩) ١٣/٦٦.

ذلك ترجم عليه بقوله: «باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا»[1] وأورد فيه قول علي - رضي الله عنه - معلقا: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟» وأورد فيه حديث أنس: أن النبي - ﷺ - قال لمعاذ وهو رديفه على الرحل: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال: «يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟» قال: «إذن يتكلوا»، فأخبر به معاذ عند موته تأثماً.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم[2].

وممن كره التحديث ببعض دون بعض، الإمام أحمد، خاصة في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على الأمير، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما روي عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع في الفتن، ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن: أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء، بتأويله الواهي.

وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب»[3].

ولما كان النهي للمصلحة لا للتحريم، أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ[4].

فأحاديث الفتن التي يوهم ظاهرها اليأس من كل إصلاح، والقعود عن

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح: ٢٧٢/١.
(٢) مقدمة صحيح مسلم: ١/١.
(٣) فتح الباري ٢٧٢/١.
(٤) فتح الباري ٢٧٤/١.

أي عمل لمقاومة الفساد، أو غير ذلك من الأحاديث التي يدق معناها على جمهور الناس، وليس لهم بها حاجة، ولا يترتب عليها حكم، لا ينبغي أن تذكر عند العامة من الناس.

وإذا احتيج إلى شيء من هذه الأحاديث لسبب من الأسباب، فينبغي أن توضع في إطارها الصحيح، وأن يلقي عليها من أشعة البيان والتوضيح، ما يجلي معناها، وينفي الاشتباه والإشكال عنها[1].

**ثالثاً**: ينبغي فهم هذه الأحاديث في حدود لغة العرب وفهوم علماء الحديث، دون تكلفات سمجة، وتأويلات بعيدة، تخرج النص الحديثي عن مدلوله اللغوي والشرعي، فمن ذلك ما ذهب إليه بعض المعاصرين من أن المراد من الدجال الأعور هو الحضارة الغربية المادية، لأنها ذات شق واحد وهو الجانب المادي دون الجانب الروحي فهي بذلك عوراء.

ومن ذلك ما قاله الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - بعد إيراده جملة من الأحاديث الواردة في الدجال: «ويظهر لي أن الدجال من زعماء اليهود، وقد يكون من كبار علمائهم الكونيين، وهو يمثل عوج الضمير اليهودي، وانقطاعه عن الله بل عداوته له»[2].

**رابعاً**: عدم التسرع في تنزيل هذه الأحاديث على وقائع معينة، وأشخاص بأعيانهم مثل أحاديث المهدي والدجال والقحطاني والسفياني والرايات السود وغيرها مما صح أو لم يصح قبل التأكد من ثبوت هذه الأحاديث أولا ثم التحقق من الأوصاف، والعلامات التي وردت مما يقطع به أو يغلب على الظن بأن هؤلاء هم المعنيون بهذه الأحاديث.

**خامساً**: فهم أحاديث الفتن والملاحم التي تحدث عنها الرسول ﷺ على أنها ليست جبرا وقدرا لازما يحيق بالناس دون أن يقدموا من الأسباب والعلل ما يجعلهم يجنون تلك النتائج، ويصلون إلى تلك الحال،

---

(١) انظر كتاب كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط للدكتور يوسف القرضاوي: ٨٦.

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: ص١٢٤.

فليست الفتن إلا بما كسب الناس أنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[1] ومن ثم فإن دفع الفتن يكون بتوقي أسبابها وعللها بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالفتن والملاحم التي أخبر عنها الرسول ﷺ إنما هو إخبار بمغيبات ستقع وفقا لسنن كونية، وهذا لا ينافي أنها من قدر الله تعالى، فهي مرتبطة بالأسباب التي يكتسبها الناس في واقع الحياة، فالأخذ بسنن الله الكونية وقوانينه في الأنفس والآفاق، مع التزام بسننه الشرعية يكون صمام الأمان من الفتن.

## مظاهر التعامل الخاطئ مع أحاديث الفتن والملاحم:

إن التعامل الخاطئ مع أحاديث الفتن والملاحم يظهر في أمرين بارزين: أولهما اعتقادها سنة وقدرا لازما، وثانيهما: إسقاطها على الأشخاص والوقائع.

**أولاً: اعتقادها سنة وقدراً لازماً**، فمن أخطر الفهوم لأحاديث الفتن والملاحم اعتقاد بعض الناس أنها قدر لازم ومصير محتوم لا مفر منه ومن ثم يتركون العمل للإسلام وينعزلون ويتقاعسون في سلبية مقيتة، يقول الشيخ عبدالفتاح أبو غدة مشيراً إلى هذه الظاهرة وآثارها السيئة:

«وهناك فكرة شائعة لدى عدد من عوام المسلمين، وهي أنهم يتخذون من إخبار الرسول بهذه العلامات، متكأ لهم في ترك العمل الجدي إلى إعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بعلامات الساعة أمرا لا صلة له بها، وهو أن العمل الآن لا يجدي، لأنه لابد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام... ، وحنيئذ يعود الإسلام وينتصر الدين، وينتشر الحق ويقوى أهله، ويسود الحكم بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من

---

(١) الشورى: ٣٠.

مقاومة الباطل وأهله مهما حاول الإنسان المسلم!

«وهذه الفكرة الضالة الخبيثة - وقد تكون دخيلة على المسلمين بمخارز أعدائهم الناعمة - أسقطت السعي الجدي الواجب، والوعي الإسلامي الصحيح، عند هؤلاء الجاهلين ومن يدور في فلكهم من المسلمين المغفلين! فقد أثرت فيهم تأثيراً سلبياً، وأحبطت منهم العمل الجدي، والسعي المتواصل لإعادة الحياة الإسلامية.

وكثيرا ما خدع هؤلاء الجاهلون الأغرار من المسلمين أشباههم بقولهم لهم: إن العالم قد اقترب من نهايته، وإن الأحاديث النبوية تدل على استمرار التدهور في شأن الإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر هكذا، كان لا جدوى من السعي لعمل شيء في وقف هذا التيار الفاسد، ومنع هذا الانحدار، إذ هو أمر قدره الله تعالى وبلغه رسوله - ﷺ - ولا بد أنه واقع، فما علينا سوى التسليم والسكون، حتى يأتي أمر الله الذي لا مفر منه»[1].

ثم ذكر ضرورة معالجة هذه الفكرة وإبطالها فقال: «وهذه الفكرة الخاطئة الزائفة تجب معالجتها في نفوس المصابين بها لدفع هذا التأثير السلبي، الذي أثرته في إرادة هؤلاء المسلمين الشعورية واللاشعورية، فضلا عن المعوقات التي تنثر في طريقها من خارجهم.

ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة، لما كان الجهد والجهاد من السلف في دفع كل زيف وانحراف، من أي مبطل كان: أجنبيا أو عربيا، مسلما في الصورة أو كافرا، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائغ، لزمنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات، في مختلف الشؤون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل، فضلاً عن أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا، وحاشا شرع الله أن يضاف إليه ذلك.

فلماذا يسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة، في

---

(١) مقدمة تحقيق التصريح بما تواتر من نزول المسيح للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط ٥، ١٩٩٢، ص و- ز.

تنمية أموالهم وأحوالهم، وتحسين عيشهم ومسكنهم، وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لبستهم هذه الفكرة الشيطانية، فضلوا وتخاذلوا عن نصرة دينهم، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبي ﷺ -: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة»، وأمثاله من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد علم العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهد والجهاد، والأخذ بالأسباب، كما هو بدهي عند كل مسلم فاقه لدينه وإسلامه.

فترك الجهد والعمل في نصرة الدين والإسلام جريمة، وترك دفع المبطلين والظالمين والكافرين المستولين على المسلمين - بسبب هذا الاعتقاد الباطل جريمة فوق جريمة، ومصيبة عظيمة أصيب بها عقل المرضى بهذا الاعتقاد، ويجب الإسراع بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الوبيل»[1].

**ثانياً: إسقاطها على الأشخاص والوقائع.**

ومن الفهوم الخاطئة والتأويلات المتعسفة إسقاط أحاديث الفتن والملاحم وتنزيلها على الوقائع المحددة، والأحداث المعينة، وقد نشط أصحاب هذا المنهج منذ حرب الخليج الثانية ثم حرب أفغانستان ثم حرب الخليج الثالثة، وأصدروا عددا من المؤلفات، راجت وانتشرت بأيدي العامة والجهلة، فأثرت في تصورهم للأحداث، وإدراكهم لطبيعة الصراع وساهمت في اتخاذ المواقف السلبية، وعاش الكثير منهم في خوف وذعر وترقب.

## حكم هذه الظاهرة في ميزان الشرع:

لا خلاف في جواز تنزيل أحاديث الفتن و الملاحم على وقائع معينة وأشخاص معينين إذا توافرت شروط ذلك مع الاعتقاد بأن هذا التنزيل هو أمر اجتهادي محض وهو مجرد رأي يصيب ويخطئ ولا يمكن الجزم والقطع بشيء من ذلك أبدا، فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن شعبة عن

---

(١) المصدر نفسه.

سعد بن إبراهيم عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف أن ابن صائد الدجال، فقلت: أتحلف بالله؟، قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي - ﷺ - فلم ينكره النبي - ﷺ -[1]، ومع ذلك فلم يكن الأمر كما توقع جابر وعمر ولم يكن ابن صياد هو الدجال الذي يأتي في آخر الزمان وهذا مما يدل على أن هذا الأمر اجتهاد صرف، وإن غلب على ظن قائله حتى يحلف عليه، فليس بالضرورة أن يكون مطابقا للواقع.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام البخاري قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ - ومعنا مروان قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يد غلمة من قريش، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان بني فلان لفعلت، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء يكونوا منهم، قلنا أنت أعلم[2].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح وفي رواية ابن أبي شيبة أن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللّهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان.

وفي هذا إشارة إلى أن أول الأغيلمة كان في سنة ستين وهو كذلك؛ فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها، وبقي إلى سنة أربع وستين فمات، ثم ولده معاوية ومات بعد أشهر... ، وقد وقع الأمر كما أخبر - ﷺ - وهذا التنزيل من أبي هريرة - رضي الله عنه - لم يكن إلا بعلم يتلقى من رسول الله - ﷺ - قال الحافظ: «وكأن أبا هريرة كان يعرف أسماءهم، وكان ذلك من الجراب الذي لم يحدث به»[3].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٢٩٢٩) ٤/٢٢٤٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب الفتن باب قول النبي - ﷺ - هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء رقم (٧٠٥٨) ١٣/١١.

(٣) الفتح ١٣/١٣.

ومراد الحافظ بذلك قول أبي هريرة - رضي الله عنه - «حفظت من رسول الله - ﷺ - وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[1].

قال الحافظ: «وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبييت أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم، كقوله أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة»[2].

يتبين مما سبق أن التنزيل على قسمين: قسم هو اجتهاد وتأويل محض يصيب ويخطئ أيا كان قائله، ومهما بلغ في الفضل والعلم، كما في تأويل جابر وعمر أن ابن صياد هو الدجال، وأما عدم إنكار النبي - ﷺ - على حلف عمر فهذا لا يدل على موافقة النبي - ﷺ - على هذا التنزيل ورضاه بهذا التأويل وقد ذكر العلماء أوجها تبين هذا: منها ما ساقه الحافظ ابن حجر عن ابن بطال فإنه قال -بعد أن قرر دليل جابر - فإن قيل تقدم في الجنائز أن عمر قال للنبي - ﷺ - في قصة ابن صياد: دعني أضرب عنقه، فقال: إن يكن هو فلن تسلط عليه، فهذا صريح في أنه تردد في أمره، فلا يدل سكوته عن إنكاره عند حلف عمر على أنه هو[3].

ونقل الحافظ عن النووي قوله: «قال العلماء قصة ابن صياد مشكلة، وأمره مشتبه، لكن لاشك أنه دجال من الدجاجلة، والظاهر أن النبي - ﷺ - لم يوح إليه في أمره بشيء، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة، لذلك كان - ﷺ - لا يقطع في أمره بشيء، بل قال لعمر: لا خير لك في قتله»[4].

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم، باب حفظ العلم رقم (١٢٠)، ١/٢٦٠.
(٢) فتح الباري ١/٢٥٨.
(٣) انظر الفتح ١٣/٣٣٧.
(٤) فتح الباري ١٣/٣٣٩.

فهذا النوع من التنزيل لا يمكن أن تجرى عليه الأحكام لأنه مظنة الخطأ، وموافقة الصواب فيه محتملة، وليس فيه خبر عن المعصوم يقطع به، ومن ههنا منع النبي - ﷺ - عمر من قتل ابن صياد لما تأول أنه هو الدجال، ومنه نقول أنه لا يجوز أن تتخذ مواقف عملية تجاه كثير من الإسقاطات والتنزيلات لأحاديث الفتن والملاحم، فلا يجوز الخروج على حاكم ما بزعم أنه السفياني، ولا الثورة مع أي داعية بدعوى أنه المهدي المنتظر، ولقد أثبت التاريخ والواقع بطلان كثير من تلكم المزاعم، والفساد العريض الذي أحدثه أولئك المتأولون المتسرعون المعتمدون على أحاديث الفتن والملاحم بإسقاطات متكلفة، والرؤى والمنامات بتأويلات وتعبيرات خاطئة فيتلاعب بهم الشيطان، فينشرون الفتن، ويبثون الرعب في صفوف الآمنين، ويغررون بكثير من العوام والمخدوعين ممن لا علم عندهم ولا بصيرة في الدين[1].

والقسم الثاني: هو تنزيل عن وحي وعلم من المعصوم، فهذا حق لاشك فيه، والتحدث به يكون حسب ظروف القائل وأحوال المستمعين إليه كما تقدم بيانه. ويدخل حينها في باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألاَّ يفهموا. وبتتبع كتب السنة وشروحها المختلفة لا نجد من هذا النوع إلا نزراً يسيراً جدّاً مما يدل على أنه كان استثناء يعمل به في ظروف خاصة، كما يدل على أن المحدثين ما كانوا يقحمون أنفسهم في إسقاط هذه الأحاديث على الوقائع والأحداث، ولم نجد لهم في هذا كتاباً واحداً.

## خطورة هذا المنهج وآثاره السيئة:

هذا المنهج يفضي إلى جملة من المحاذير منها:

**أولاً**: القول على الله ورسوله بغير علم.

**ثانياً**: التخرص بالظنون والأوهام، والعيش في الأماني والأحلام،

---

(١) انظر نماذج من دعوات المهدية في كتاب أحاديث المهدي في الميزان لعبد العظيم بستوي.

وترك السنن الكونية التي أمر الله بها.

**ثالثاً**: التعدي والظلم لبعض الأشخاص أو القبائل لإسقاط أحاديث عليهم وهي ليست فيهم، أو على الأقل لا يمكن القطع والجزم بذلك.

**رابعاً**: تمرير بعض العقائد المنحرفة التي يتبنّاها اليهود وبعض النصارى حول نهاية العالم وأشراط الساعة وما يتعلق بذلك.

**خامساً**: شغل الناس وصرفهم عن العلم النافع والعمل الصالح بترقب الأحداث وانتظار النبوءات.

## نماذج من هذا المنهج (كتاب «هرمجدون» دراسة ونقد)[1]

الكتاب بعنوان «هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام»، وهو ضمن سلسلة أصدرها المؤلف «عمر أمة الإسلام، وقرب ظهور المهدي عليه السلام»، مؤلفه هو أمين محمد جمال الدين دراسات عليا في الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، نشر المكتبة التوفيقية بمصر سنة ٢٠٠١م.

وقد اخترت هذا الكتاب نموذجاً للدراسة لأسباب كثيرة منها:

- أن هذا الكتاب من آخر ما أصدره أصحاب هذا المنهج.

- اشتماله على كثير من الأمثلة والنماذج لإسقاط أحاديث الفتن والملاحم على الوقائع والأحداث الراهنة والمستقبلية، وتحديد ذلك بمحددات زمنية تكاد تكون دقيقة.

- اشتماله على مغالطات، وأخطاء سواء في إثبات النصوص الحديثية، أو فقهها الفقه الصحيح، وهو نموذج يوضح دراسات غير المتخصصين في

---

(١) لقد كتب بعض الأفاضل في نقد هذا الكتاب، منهم: الشيخ حامد بن عبدالله العلي، في مقال له بعنوان تنبيه المفتون بكتاب «هرمجدون»، ود/سفر الحوالي، ود/عبد العزيز دخان وغيرهم وهي منشورة عبر الإنترنت وقد استفدنا منها فجزاهم الله خيراً..

السنة النبوية، وآثارها السيئة على مختلف المستويات.

- اغترار كثير من العامة والدهماء بما ورد فيه، واقتناعهم بما ذكره، وعملهم بما تضمنه.

ونقدنا لهذا الكتاب يبدأ بعنوانه ثم مؤلفه ثم مضمونه، أما مؤلف الكتاب فهو لا يعدو أن يكون في أحسن أحواله طالب علم، فهو ليس من العلماء، فضلا أن يكون من الراسخين في العلم، ومثل هذه الموضوعات الحساسة الشائكة لا يتكلم فيها إلا العلماء الكبار الراسخون في العلم الذين يجمعون بين معرفة النصوص، وإدراك الصحيح والسقيم منها، مع فقه للتنزيل، وفهم للواقع، وإدراك لمفاهيم الإسلام الكبرى وطبيعة الصراع، فالمؤلف غفر الله له ليس عنده فيما ذكره من إسقاطات علم عن المعصوم مأخوذا عن الوحي فيصدق فيه فما بقي إلا الاجتهاد، فليس هو أهلا له، وما هو بموضع اجتهاد.

أما عنوان الكتاب «هرمجدون»، ويريد بذلك الملحمة الكبرى، التي تكون عندها نهاية العالم ولا وجود لهذه الكلمة، ولا لهذه الملحمة إلا في أسفار العهد القديم والعهد الجديد، ونحن مأمورون بألاَّ نصدق أخبار بني إسرائيل ولا نكذبهم فيها، فيما ليس عندنا من الشرع ما يشهد بصدقها أو كذبها، وليس لهذه الملحمة الكبرى خبر صحيح صريح عن النبي ﷺ - في ذلك، فكيف نصدقهم في هذا الأمر الغيبي ونبني عليه أحكاما؟!.

## الظروف التي صدر فيها الكتاب:

والمؤلف -غفر الله له - أصدر كتابه هذا تحت تأثير حمّى حرب «هرمجدون»، وهي عقيدة توراتية لا أساس لها من الصحة، وما أصدره أصحابها من عشرات الكتب والمنشورات في ذلك، فالكتاب يكرس هذه العقيدة، وكان من المفترض أن يتصدى لنسفها بأدلة القرآن والسنة الصحيحة، لكن المؤلف راح يؤيدهم في نبوءاتهم الكاذبة، وتأويلاتهم المتعسفة، لنصوص من العهد القديم والجديد.

(ففي غمرة الحماس الهائج لاقتراب الألفية نشط الأصوليون في العقدين الأخيرين من القرن العشرين نشاطاً هائلاً في كل المجالات.

إلا أن من أهمها مجال الدراسات والتآليف والصخب الإعلامي عن نزول المسيح واقتراب الألفية السعيدة، حيث استعجلوا بتعسف ظاهر كل حوادث آخر الزمان وأشراط الساعة، وأعدوا لها تصورات (سيناريوهات) مرعبة للغاية، تقوم على افتراض واحد هو: حدوث المعجزات الخارقة بما لا يمكن أن يتفق مع التتابع المنطقي لأحداث التاريخ بأي حال.

لقد وجد هؤلاء أنه لا يمكنهم تصور أو تصوير حلول الألفية السعيدة وفق الشروط الموضوعية كالزمان والمكان والظروف السياسية الحالية.

فلابد من إقحام خارقة عظمى تقلب النظام الكوني رأساً على عقب.

ومن هنا كان أسهل الطرق لتحقيق ذلك هو كارثة نووية تقضي على الحضارة، وتعيد العالم إلى حالة شبيهة بحاله عند المجيء الأول للمسيح، وتمهد للمجيء الثاني الموعود، ووجدوا ضالتهم المنشودة في معركة «هرمجدون» المشؤومة.

ووافق ذلك شعارات ريجان ونيكسون عن تدمير إمبراطورية الشر «الاتحاد السوفيتي» فافترضوا أن يأجوج ومأجوج هم الروس.

وبسقوط الاتحاد السوفيتي وقيام حرب الخليج افترضوا أن يكون الآشوري هو صدام حسين وأن يأجوج ومأجوج هم العرب أو العرب والفرس وغيرهم وأن الحرب النووية لا مفر منها!!)[1].

والمؤلف قد أكثر الاعتماد على هذه النبوءات والتحليلات، وأخذها مأخذ الصدق والحق، بل تجاوز ذلك إلى تخاريف الكهنة والمنجمين، ثم يعقب المؤلف العنوان بقوله «آخر بيان يا أمة الإسلام»، فهو بهذا يحدد نهاية العالم، بل صرح أنه يخشى ألا يصل نداؤه إلى الأمة الإسلامية بسبب

---

(١) يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص ١٣.

الحرب الكونية الثالثة، فقال: «ولا أدري هل سيصلكم ندائي هذا، أم ستطغى عليه أصوات القنابل المدمرة والصواريخ القاتلة وأسلحة الدمار الشامل الجاهزة الآن للحرب العالمية الثالثة هرمجدون»[1] كما حدد السنوات والتواريخ التي يظهر فيها المهدي وينزل فيها عيسى عليه السلام ونهاية اليهود وزوال إسرائيل[2] وشيء من ذلك لم يقع وكل ذلك تهويل وعويل، وتخرص بغير برهان ولا دليل.

أما المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في إيراد أخبار الفتن والملاحم فكثيرة، وكان جل اعتماده على كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد الخزاعي المتوفى سنة **٢٢٩**هـ وهو كتاب غير معتمد، وقد نبه علماء الحديث إلى أن أغلب ما فيه ضعيف بل منكر وموضوع لا تحل روايته إلا لبيان حاله والتحذير منه، ونعيم بن حماد وإن كان ثقة في نفسه، لكن هو كما قال الإمام الذهبي: «لكنه لا تركن النفس إلى مروياته»[3] وكان المؤلف يورده على أنه شيخ البخاري، وكأنه بهذا يكون موضعا للثقة والأمانة مثل الإمام البخاري، والبخاري لم يرو عنه سوى موضعا أو موضعين مقرونا بغيره، وروى له الإمام مسلم موضعا واحدا في المقدمة[4].

وقال عنه صالح جزرة: «وكان يحدث من حفظه، ولديه مناكير كثيرة لا يتابع عليها، سمعت يحيى بن معين سئل عنه فقال: ليس في الحديث بشيء ولكنه صاحب سنة.

قال الإمام الذهبي معقباً على هذا الكلام: «قلت لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب «الفتن» فأتى فيه بعجائب ومناكير»[5].

كما رجع إلى كتب مجهولة يزعم أنها مخطوطات نادرة بدار الكتب

---

(١) المقدمة: ص٣.
(٢) هرمجدون ص ٧٠.
(٣) السير: ١٠/ ٦٠٠.
(٤) انظر هدي الساري: ص ٤٤٧.
(٥) السير ١٠/ ٦٠٩.

الإسلامية في كتاب خانة إسطانبول، منها كتاب «أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك» لمؤلف مجهول سماه «كلدة بن زيد بن بركة المدني» ومع ذلك نقل عنه بالواسطة نصوصا غريبة وركيكة بدون إسناد وبنى عليها أحكاما كثيرة في كتابه بل وبنى فصولا كاملة عليه[1].

وفيه تسمية هتلر وصدام والكويت والروس وعبدالناصر وغير ذلك من الهراء الفارغ، والكلام التافه.

فمن أمثلة ما ذكره من أحاديث باطلة ولا أصل لها: حديث يزعم أنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، وهو كلام عجيب وغريب، ادعى أن مصدره تلك المخطوطة يقول الحديث المزعوم: (حرب آخر الزمان حرب كونية، المرة الثالثة بعد اثنين كبريين يموت فيهما خلائق كثيرة، الأول أشعلها رجل كنيته السيد الكبير، وتنادى الدنيا باسم (هتلر))[2].

قال: وهذا مما رواه أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رواية خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس الموت خاف أن يكتم علما فقال لمن حوله: (في نبأ علمته عما هو كائن في حروب آخر الزمان، فقالوا: أخبرنا ولا بأس جزاك الله خيرا، فقال: في عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة، واعقدوا عقودا يرى ملك الروم أن حرب الدنيا كلها يجب أن تكون، فأراد الله له حربا، ولم يذهب طويل زمن، عقد وعقد فسلط رجل من بلاد اسمها جرمن، له اسم الهر، أراد أن يملك الدنيا، ويحارب الكل، في بلاد ثلج وخير، فأمسى في غضب الله بعد سنوات نار، أرداه قتيلا سر الروس، وفي عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة عد خمسا أو ستا، يحكم مصر رجل يكنى ناصر، يدعوه العرب شجاع العرب، وأذله الله في حرب وحرب وما كان منصورا، ويريد الله لمصر نصرا له حقا في أحب شهوره، وهو له، فأرضى مصر رب البيت، والعرب

---

(١) انظر البيان الأول ص ١٧ ـ ٢٥ والبيان الثالث ص ٣٩ ـ ٤٤ من الكتاب.

(٢) ص٣٩.

بأسمر سادا، أبوه أنور منه، لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين، وفي عراق الشام. . . . )[1].

وهذا الخبر لا يعرف له أصل، ولا تحل روايته، دون بيان درجته وكيف يحل لأحد أن يورد مثل هذه الخرافات، وينسبها إلى صحابة النبي ﷺ، لاسيما وهي في أخبار الغيب، التي لا يقال فيها بالرأي؟! فهي في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، مع ما فيها من الكلام الركيك الذي يشبه هذيان المحموم.

كما قال المؤلف (هذا من الآثار العجيبة والتي حدث بها الصحابي الجليل أبو هريرة) فهو يجزم بأن أبا هريرة رضي الله عنه، قد حدث بهذا الكلام كأنه حديث أعجمي، مليء بفساد التركيب، وضعف الصياغة.

فهذا الكتاب إضافة لكتاب الفتن لنعيم بن حماد تعد من أهم مصادر المؤلف فيما ساقه من أخبار الفتن والملاحم، فهو بذلك قد خالف أول شرط من الشروط العلمية في هذا الباب وهو تحري المصادر الموثوقة، والأخبار الصحيحة الثابتة، ومن ثم كثرت في كتابه الأحاديث المنكرة والموضوعة. وما لا أصل له.

كما رجع المؤلف إلى كتب السنة المشهورة وأخذ منها بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة، لكن أساء تنزيلها وحمّلها ما لا تحتمل، ومنها ما هو ضعيف واه دون أن يبين ضعفه، وسيأتي بيان نماذج من ذلك فيما يلي:

## الأحاديث الضعيفة والمنكرة التي استدل بها المؤلف وبيان ضعفها:

كأحاديث السفياني، وأحاديث الرايات السود، وهو من الأحاديث التي تعددت طرقها وألفاظها في كتب الملاحم و أشراط الساعة، ككتاب «الفتن»

---

(١) ص٣٩.

لنعيم بن حماد، وليس فيها على كثرتها حديث واحد مرفوعٌ أو موقوفٌ عن الصحابة تقوم به الحجة[1].

ومن ذلك استشهاده بحديث (بين الملحمة وفتح القسطنطينية ست سنوات ويخرج الدجال في السابعة)[2] وهو حديث ضعيف[3].

ومن ذلك حديث (ليغزون الهند لكم جيش يفتح الله عليهم، حتى يأتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل يغفر الله ذنوبهم فينصرفون حين ينصرفون فيجدون ابن مريم بالشام)[4]. وهذا الحديث لا أصل له.

ومن ذلك هذان الحديثان المنكران: (يكون صوت في رمضان، معمعة في شوال، وفي ذي القعدة تجاذب القبائل، وعامئذ ينتهب الحاج وتكون ملحمة عظيمة بمنى يكثر فيه القتلى، وتسيل فيها الدماء، وهم على جمرة العقبة)[5].

وحديث (إذا كانت الصيحة في رمضان فإنه يكون معمعة في شوال.. قلنا: وما الصيحة يا رسول الله؟ قال: هدّة في النصف من رمضان، ليلة جمعة، فتكون هدّة توقظ النائم وتقعد القائم وتخرج العواتق من خدورهن في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل..الحديث)[6].

ومن ذلك ما أورده ناسبا إياه إلى نسخة خطية في دار الكاتبخانة في

---

(١) انظر العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد من رواية عبد الله ٣٢٥/٢، رقم (٢٤٤٣)، والضعفاء الكبير للعقيلي ٣٥١/٢، رقم (٤٠٣)، والعلل المتناهية لابن الجوزي رقم (١٤٤٥)، والمنتخب من العلل لابن قدامة رقم (١٧٠)، والأحاديث الواردة في المهدي لعبد العليم البستوي ص ٣٠-٣٩ ومن ص ١٥٨ -١٦٢ وغيرها.

(٢) ص ٥٧.

(٣) رواه أبوداود بسند ضعيف، انظر مشكاة المصابيح: ١٤٩٤/٣(٥٤٢٦) بتحقيق العلامة الألباني.

(٤) ص ٦٧.

(٥) ص ٨٠.

(٦) ص ٨٠.

تركيا، كتبها ـ فيما ادعى الناقل عنها ـ كلدة بن زيد بن بركة المدني، وجاء فيه: (وحرب في بلد صغير من عجب الذنب يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون، وأمير فيها سلم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة، بداية آخر الزمان، فتجمع له صريخها من كل الدنيا، وترد له عرش الملك ويخرب عراق في ملاحم بداية آخر الزمان، ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي، وحان خراب البلد مرة أخرى، لأن أميرها سر الفساد... المهدي يقتله ويعود الذنب إلى جسد... )[1]. فهل هذا كلام النبي ﷺ، أم هو كلام بعض الصحابة؟! وأين إسناده إن كان كذلك؟! مع أنه في غاية الركاكة، بعيدٌ بعدَ المشرقين عن فصاحة اللفظ النبويّ، وكلُّ من يعرف كلام العرب، يجزم بأن هذا التركيب لا يمكن أن يقوله النبي ﷺ، كما يقطع بأنه ليس من كلام العرب الأوائل أيضاً.

إلى غير ذلك من الأخبار المنكرة التي لا يصح نسبتها إلى النبي ولا إلى صحابته الكرام فضلا عن تنزيلها وتأويلها على أحداث الزمان.

فهذا الكتاب وأمثاله نموذج صارخ للتعدي على قواعد المحدثين في توثيق النصوص، ونقد الأقوال، والالتزام بأخص خصائص هذا الدين وهو الإسناد، ورحم الله ابن المبارك إذ يقول: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

أما النوع الثاني من أخطاء هذا الكتاب: فهو تفسيره لبعض أحاديث الفتن والملاحم تفسيرا متكلفا، وتنزيلها على وقائع محددة وأشخاص معينين، بغير دليل مقنع، مع الجزم بأن هذا التنزيل هو معناها ومقتضاها، وفي ذلك يقول: «لولا أنني على يقين من أمري ما تورطت في أمر كهذا» وهذا مخالف لما قررناه من أن تنزيل أحاديث الفتن والملاحم إما أن يكون عن وحي فهذا يجب تصديقه، أو يكون باجتهاد فهذا له ضوابطه، وهو عرضة للخطأ والصواب، ولا يمكن القطع به.

---

(١) ص٢١.

فمن ذلك إنزاله حديث: (كنا قعوداً عند النبي ﷺ فذكر الفتن، فأكثر من ذكرها حتى ذكر فتنة السرّاء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني.. الحديث) وهو حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه.

إنزاله هذا الحديث على أن فتنة السرّاء هي فتنة غزو صدام للكويت، وجزمه بذلك وترجيحه أن أمير الكويت هو المقصود بقوله (دخنها تحت قدمي رجل من أهل بيتي)[1].

ومعلوم أن الحديث ذكر أن فتنة السراء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيته ﷺ، وأن أسرة الصباح التي تحكم الكويت، ليست من أهل البيت، ولاهم يدعون ذلك، ولا أنهم من قريش أيضاً، فإنزال الحديث على غزو صدام للكويت فيه تعسف واضح.

ومن ذلك أيضاً استدلاله بحديث: «**سيكون من بني أمية رجل أخنس بمصر يلي سلطانا يغلب على سلطانه أو ينزع منه فيفر إلى الروم فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام فذلك أول الملاحم**» وهو حديث ضعيف[2]، استدل به على أن المقصود به أمير الكويت، مع أن المقصود بمصر، مصر نفسها، ولهذا فقد ورد الحديث بلفظ: «**فيفر إلى الروم فيأتي بهم إلى الإسكندرية**» مع أنه ضعيف أيضاً، ولكن المؤلف لم يذكر هذه اللفظة، ثم إن أمير الكويت من أسرة الصباح، وهي ليست من بني أمية، ولا من قريش أصلاً، ولا هم يدعون ذلك، ولا أهل الأنساب ينسبونهم إلى بني أمية، فإنزال هذا الحديث الضعيف على الكويت، فيه تكلف وتعسف ظاهر.

ومن ذلك أنه جمع أحاديث: ليس لها زمام ولا خطام في شأن السفياني وادعى أنه صدام، وتعسف في تركيب وصف صدام على ما ذكر في تلك الأحاديث.

---

(١) ص ٢٠ الحاشية.

(٢) انظر الجامع الصغير ٣٣٠٦.

ومن ذلك إنزاله حديث: «**يوشك أهل الشام ألا يجبى إليه دينار ولا مدي: قلنا من أين ذلك، قال: من قبل الروم**» رواه مسلم، على أن المقصود الحصار على فلسطين وأنه واقع الآن، مع أن الحديث ذكر أن الحصار يقع على الشام كلها، وليس على فلسطين وحدها، وأيضاً فإن فلسطين الآن لا يمنع عنها الدينار ولا الطعام، بل تدخلها التحويلات الخارجية إلى البنوك في فلسطين، ويدخلها الطعام من خارج فلسطين إليها، وهو أمر مشهود معلوم.

ومن ذلك إنزاله حديثاً منكراً لا تعرف صحته وقد سبق الكلام عليه: «**إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر**» على أن الرايات السود هم الطالبان، والرايات الصفر هم جيوش الغرب، والواقع خلاف ذلك.

ومن ذلك أيضاً إنزاله حديث لا تعرف صحته: (علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة) على أن المقصود به الجنرال ريتشارد مايرز قائد القوات المشتركة الأمريكية، لأنه كان يمشي على عكازين، مع أن كندة قبيلة عربية مشهورة، أبوهم كندة بن ثور، وقيل حيّ من اليمن، فما دخل قائد القوات المشتركة الأمريكية بها؟! وغيرها من الإسقاطات الجريئة، والتنزيلات المضحكة.

**النوع الثالث: من أخطاء هذا الكتاب** في هذا الباب هو ترتيب أعمال ومواقف انطلاقا من تلك الفهوم الخاطئة والتنزيلات المتكلفة، (فيتطوّع الأستاذ (مخلصا!) فيدعو المسلمين في أمريكا وأوربا إلى الفرار والرّجوع، ولم يحدّد لهم طبعا المكان الذي يتعيّن عليهم أن يرتحلوا إليه وينزلوا فيه، وأجزم أنّه يريدهم أن يأتوا إلى البلاد العربية والإسلامية! ولا أدري الآن هل مازال هذا الأستاذ يحتفظ بعقله؟ إذ كيف يدعو عاقل المسلمين الأمريكيين والأوربيين وهم يعدّون بالملايين أن يتركوا أمريكا وأوربا بعد أن انتشر فيهما الإسلام وامتدّت جذوره بعيدا في تلك الأرض وانتشرت المساجد والمدارس والجامعات والمراكز الإسلامية ودخل كثير من أبناء تلك البلاد في دين الله

عزّ وجلّ وأصبح الإسلام الدّين الأكثر والأسرع انتشارا في العالم، وأصبح يقضّ مضاجع اليهود وحلفائهم؟ كيف يريد هذا الكاتب من المسلمين بعد كلّ هذا أن يخلوا أمريكا وأوربا ويتركوهما لقمة سائغة لليهود والنّصارى، اعتمادا على ظنون وتوقّعات لا تنطلق من أدلّة شرعية صحيحة، ولا تعتمد على واقع صحيح ولا تستند إلى إجماع علماء الأمّة وأهل الرّأي فيها؟!

وأخيراً يخلص الأستاذ وهو ينصح أبناء المسلمين إلى وجوب العزلة ولزوم البيوت وإعداد الطّعام انتظارا لقدوم الفتن والأزمات ومجيء المهدي المنتظر، وأظنّ أنّ هذا الكلام لو بلغ مسامع عامّة المسلمين وفهموه لأحدثوا أزمة اقتصادية خانقة ولحدث من الاضطراب والفوضى ما لا يعلم آثاره إلاّ الله تعالى!

وإنّ المؤلّف يكرّس بهذا الكلام - للأسف الشديد- عقلية التّواكل والسّلبية التي نعاني منها أصلا، فما على أبناء المسلمين في رأي حضرة الأستاذ إلاّ أن يمارسوا العزلة في البيوت والجبال، ويفسحوا المجال لأهل الفساد ليعيثوا في الأرض فساداً، حتّى إذا جاء المهدي لم يجد أحدا! ونحن نقول للمسلمين جميعا: بل الواجب في مثل هذه الأحوال هو الاتّصال بالعلماء وسؤالهم ومرافقتهم فإنّهم صمام الأمان بإذن الله تعالى عند كلّ فتنة، والواجب أيضاً هو الانطلاق في رحاب المجتمع لنشر الخير والفضيلة وتعليم النّاس وإرشادهم فإنّ هذا هو الواجب المتعيّن، وهو الذي كلّفنا به شرعا، فمن مات في هذه السّبيل فقد وقع أجره على الله تعالى، ومن عاش حتّى يدرك المهدي كان من أنصاره وأعوانه.

أمّا العزلة التي يدعو إليها الأستاذ فهي سبب من أسباب الشرّ وحظ من حظوظ النّفس وعذر أقبح من ذنب ووسيلة الشّيطان للاستحواذ على قلب المؤمن.

ولم يعهد في علمائنا السّابقين على مرّ العصور وكرّ الدّهور أن مارسوا هذا النّوع من العزلة التي يدعو إليها حضرة الأستاذ، وهذه مآثرهم وأمجادهم وسجلّهم الحافل وتراثهم الماثل يشهد بذلك، فلم يزالوا مختلطين

بالنّاس فيحصّلون منافع الاختلاط من حضور الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وتعليم النّاس وإرشادهم وبذل النّصيحة لأئمّة المسلمين وعامّتهم، وغير ذلك من المصالح التي يكون بعضها من فروض الكفاية، وكثير منها من فروض الأعيان.

إنّ العزلة الحقيقية إنما تكون عن الشّرّ وأسبابه ودواعيه وما يؤدّي إليه ويوقع فيه، وهي عزلة شرعية تقيّدها الضّوابط الشّرعية وتفرضها المصالح المرعية، عندما لا يجد المسلم فرصة لقول كلمة أو تعليم جملة أو نشر خير أو دفع شرّ، وليس زماننا بهذا السّوء الذي يريد الأستاذ أن يصوّره لنا، فما زال الخير يتدفّق في جوانب المجتمع وما زال أهل الخير حكّاما ومحكومين يسهرون على نشر الخير ورعاية الفضيلة، ومازال المجتمع يحبّ ذلك ويقبله، رغم كل الظواهر السّلبية التي نراها ونعيشها.

والمقصود هنا أن يحذر المسلم من إسقاط أحاديث الفتن والملاحم على واقعه إسقاطا يمنعه من العمل ويدفعه إلى العزلة المذمومة، بل الواجب عليه أن يستقبل كلّ حوادث دهره ونوازل عصره باعتبارها جزءا من قضاء الله وقدره فيغالبها بقضاء الله وقدره، تماما كما يفعل في مواجهة الأمراض والمحن والابتلاءات التي يقدّرها الله على عباده)[1].

فهذا الكتاب نموذج من دراسات المعاصرين لأحاديث الفتن والملاحم والتي غابت فيها الضوابط العلمية التي ينبغي مراعاتها في هذا الباب، كما خلصت هذه الدراسة إلى خطورة دراسات غير المختصين في الحديث الشريف، والآثار السلبية التي تنجم عنها في المجتمع، وعلاج هذه الظاهرة يكون بتصدي العلماء والباحثين الأكاديميين من أهل الاختصاص الدقيق في الحديث وعلومه بتناول مثل هذه الموضوعات في بحوث علمية متخصصة ودقيقة بعيدة عن التهريج والعبث بالقواعد العلمية، ولعل من بوادر ذلك رسالة دكتوراه للباحث د/عبدالعزيز دخان الموسومة بـ «أحاديث الفتن

---

(١) من مقال للدكتور عبد العزيز دخان في نقد كتاب هرمجدون منشور في الانترنت، بتصرف يسير.

والملاحم في كتب السنة - جمع وتبويب وتوثيق ودراسة-» ورسالة ماجستير للشيخ عبدالعليم عبدالعظيم البستوي بعنوان «الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل»، وكتاب «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم» للشيخ مصطفى العدوي، والمطلوب مزيد من البحث والتدقيق من أهل الاختصاص حتى لا يوسَّد الأمر إلى غير أهله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# قائمة المصادر والمراجع

١ ـ **الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل**: لعبدالعليم عبدالعظيم البستوي.

٢ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي، ت د/محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣.

٣ ـ **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**: الشيخ محمد الغزالي ـ ط١ ـدارالصديقية للنشر، الجزائر ١٩٨٩.

٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي -تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه -مؤسسة الرسالة.

٥ ـ **صحيح الإمام مسلم**: حققه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي - دار الكتاب المصري.

٦ ـ **الضعفاء الكبير**: أبو جعفر العقيلي -ت عبدالمعطي أمين قلعجي -ط١-دار الكتب العلمية ١٤٠٤ بيروت.

٧ ـ **العلل ومعرفة الرجال**: للإمام أحمد برواية عبدالله ـ تحقيق د/وصي الله عباس- ط١المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨.

٨ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: شهاب الدين ابن حجرالعسقلاني- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي -ط١- دار الريان للتراث، القاهرة.

٩ ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروز آبادي، ط دار الجيل، بيروت.

١٠ ـ **كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط**: للدكتور يوسف القرضاوي، طبع الجزائر.

١١ ـ **مختار الصحاح**: لأبي بكر الرازي، ت مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر.

١٢ ـ **المنتخب من العلل**: لابن قدامة، ت طارق بن عوض الله -ط١- دار الراية، الرياض.

١٣ - **هدي الساري**: شهاب الدين ابن حجرالعسقلاني- ت محمد فؤاد عبدالباقي- ط١-دار الريان للتراث، القاهرة.
١٤ - **هرمجدون آخر بيان... يا أمة الإسلام**: أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية، مصر.
١٥ - **العلل المتناهية في الأحاديث الضعيفة والواهية**: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت.
١٦ - **مشكاة المصابيح**: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٧ - **مقدمة تحقيق التصريح بما تواتر من نزول المسيح**: للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط ٥، ١٩٩٢.